# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠١٣/٩

الأحد ٣ آذار

أحد الإبن الشاطر

تذكار الشهداء أفطروبيوس

وكلاونيكُس وباسيليكُس

اللحن السادس

إنجيل السَحَر السادس


## الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مُباحٌ لي ولكن لا يتسلَّط عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعمةَ للجوفِ والجوفَ للأطعمةِ وسيُبيدُ اللهُ هذا وتلك. أمَّا الجسدُ فليس للزنى بل للربِّ والربُّ للجسد* واللهُ قد أقامَ الربَّ وسيُقيمُنا نحن أيضاً بقوَّتِه* أمَا تعلمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعلُها أعضاءَ زانية. حاشى* أمَا تعلمون أنَّ مَن اقترن بزانيةٍ يصيرُ معها جسداً واحداً. لأنَّه قد قيلَ يصيران كِلاهما جسداً واحداً* أمَّا الذي يقترنُ بالربِّ فيكونُ معه روحاً واحداً* أهرُبوا من الزنى. فإنَّ كلَّ خطيئةٍ يفعلُها الإنسانُ هي في خارجِ الجسد. أمَّا الزاني فإنَّه يُخطِئُ إلى جسدِه* أم ألستُم تعلمون أنَّ أجسادكم هي هيكلُ الروحِ القدسِ الذي فيكم الذي نِلتموهُ من اللهِ وأنَّكم لستم لأنفسكم* لأنَّكم قد اشترَيتم بثمنٍ

## حول الرسالة

«كلّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليس كلّ شيءٍ يوافق».

يقول بولس الرسول هذه العبارة في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس التي تقرأ في هذا الأحد المبارك أي الأحد الذي نقيم فيه تذكار مَثَل الإبن الشاطر والذي فيه تهيِّئنا الكنيسة لاستقبال الصوم الكبير. ليس من الغريب سماع هذا القول من الرسول بولس الذي كان علاّمة في الكتب اليهوديّة المقدّسة (العهد القديم). يأتي هذا القول من شخص فهم بشكل عميق ما ورد في كتاب التكوين عن أنّ الله خلق الإنسان على صورته وهو ما تفسّره الكنيسة أنّ صورة الله في الإنسان هي «الحرية».

خُلق آدم مطلق الحرية وقد أتاح له الله كلّ شيءٍ عندما سلّطه على كلّ ما خلق. لم يمنعه الإله من الأكل من شجرة معرفة الخير والشرّ وإنّما أعطاه وصيّة: «أوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميعِ شجرِ الجنَّةِ تأكُلُ أكلاً وأمَّا شجرةُ معرفة الخيرِ والشرِّ فلا تأكُل منها» (تك ٢: ١٦–١٧) والوصيّة هنا هي كالنصيحة.

أيّ والدٍ في هذه الحياة لا ينكسر قلبه عندما يكون ابنه معرّضاً لخطر أو لمأزقٍ ما. ماذا إذاً لو كان هذا الوالد عارفاً بأنّ ابنه قد يموت؟ وكأن عاصفتين من المحبّة عصفتا في قلب الإله في تلك الساعة. محبّة تردعه من أن يمسّ حريّة خليقته المحبوبة جداً والتي أرادها حرَّة على صورته، أعني الإنسان، ومحبّة تدفعه إلى إعتاق هذه الخليقة ممّا قد يقضي عليها. إلاّ أنّ الإله ما أراد أن يعدّل في الحرية التي أعطانا إياها، مريداً أن يترك الخيار للإنسان للبقاء بقربه أو العصيان. لقد قوّى الله بمشيئته هذه دور العقل البشري وحسّ التمييز لدينا. ترك لنا الخيار بأن نستخدم العقل لمعرفة ما يناسبنا.

من هنا يأتي قول الرسول بولس بأنّ كلّ شيء مسموح ولكن عليّ أنا الإنسان العاقل ذو القدرة على التمييز، أن أعرف ما يناسبني وما لا يناسبني. ويتابع الرسول الإلهيّ قوله مضيفاً «كلّ شيء مباحٌ لي ولكن لا يتسلّط عليّ شيء». فاليهود كانوا

فمجّدوا اللهَ في أجسادِكم وفي أرواحِكم التي هي لله.

## الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان له إبنان* فقال أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقَسَمَ بينهما معيشتَهُ* وبعد أيام غير كثيرةٍ جمَعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ له وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ مالهُ هناك عائشاً في الخلاعة* فلمَّا أنْفقَ كلَّ شيءٍ له حدثَت في ذلك البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذ في العَوَزِ* فذهب وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلدِ فأرسلَهُ إلى حقولِه يرعى خنازيرَ* وكان يشتهي أن يملأ بطنه من الخرنوب الذي كانتِ الخنازيرُ تأكلُه فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجع إلى نفسِه وقال كم لأبي من أُجَراءَ يَفْضُلُ عنهم الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعاً* أقوم وأمضي إلى أبي واقولُ له يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابناً فاجعلني كأحدِ أُجرائك* فقام وجاء إلى أبيهِ. وفيما هو بعدُ غيرُ بعيدٍ رآهُ أبوه فتحنَّنَ عليهِ وأسرع وألقى بنفسِه على عنقهِ وقبَّله* فقال له الإبنُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحِقًّا بعدُ أن أدعى لك

يتبعون الناموس بحرفيّته، ما أدّى إلى عدم تيقّنهم بأنّ المسيّا الذي ينتظرونه حسب الناموس، تجسّد وصار إنساناً. لقد تسلّط الناموس على اليهود أو بالأحرى لقد سلّط اليهود بإرادتهم الناموس عليهم. أمّا اليوم، فكم من النواميس لدينا؟ وكم إنسان اتخذ قائداً له مستنداً إلى الحرية المطلقة، بدل أن يكون له قائدٌ واحدٌ هو الرب يسوع؟ الرئاسات والقوانين والأنظمة هي مباركةٌ إذا ما التمست خير البشريّة وإبطال الظلم ومحبّة الآخر. ولكن أن تتسلّط على الإنسان أمواله ومصالحُه الشخصيّة فينسى قريبه لهو أمرٌ ليس بنافع. هذا التسلّط يثمر خضوعاً للمادّة وهو ليس بنافع على الصعيد الروحي للإنسان، لأنّ الخضوع للمادة ينمّي الأنانية والمادية عنده.

يجب أن لا يتسلّط على الإنسان سوى الإنجيل ليحيا بحسب التعاليم الواردة فيه فيكون على مثال المعلّم. هنا نلاحظ التمايز بين الطريقين المادي والروحي. فالطريق الأوّل يقودنا إلى مضاعفة الأرقام المتراكمة في الحسابات، أمّا الطريق الثاني فيقودنا إلى ترك كلّ شيء واتّباع المسيح وبذل الذات عن الآخرين.

في إطار المباح والتسلّط هذا، لا يغيب الطعام عن بالنا ونحن مقبلون إلى الصوم. إننا مدعوون في الأيام القادمة إلى الامتناع عن تناول بعض أنواع الأطعمة بالإضافة إلى الانقطاع عن الطعام لفترات محدّدة. فالصوم إذا ما نظرنا إليه من منظار المباح والمتسلّط يأخذ طابع التدريب. ليس الطعام إختيارياً وإنما هو ضرورة للمحافظة على صحّة الجسد الضعيف. وكلّ الأنواع مباحةٌ لنا. أمّا السؤال فهو هل يتسلّط عليّ الطعام أو باستطاعتي التمييز بين الضروري وغير الضروري. مرحلة الصوم تشهد تدريباً للجسد وحدًّا لمطالبه. ليس الطعم أو الشكل أو النوعية في الطعام ما نبحث عنه في ظلّ الصوم وإنّما نرجو أن نتسلّط على رغباتنا ونتحكّم بها. عند هذا الحدّ نبلغ قول آباء الكنيسة أنّ الصوم هو صلاة الجسد الذي يترافق مع الصلاة التي هي صوم الروح.

في الكتاب المقدّس أمثلةٌ كثيرة عن التمييز وعدم الخضوع للمادّة. لقد كان باستطاعة السيّد أن يحوّل الحجارة إلى خبز عندما جرّبه الشيطان بعد صوم أربعين يوماً. وقد كان باستطاعة الرسول بولس أن يجمع أعداداً كبيرةً من المؤيّدين له لكنّه علّم أن «مَنْ هو بولس ومَن هو أبلُّوس. إنّهما خادمان» (١ كو ٣: ٥). لا السيّد حوّل الحجارة إلى خبز ولا بولس الرسول جمع أتباعاً له لمجرّد أنّ كلّ شيءٍ مباحٌ لهما. لقد كان متاحاً للسيّد أن يأكل لكن ذلك لم يكن موافقاً ومناسباً إذ أراد أن يعطينا مثالاً. كما كان حبّ الرئاسة متاحاً لبولس لكنّه عرف أنّه ليس سوى مجد باطل وهو لا يوافق الطريق التي اختارها.

نسمع هذا الفصل من رسالة بولس الرسول في هذا الأحد بالذات إذ أخذ المؤمنون بإعداد العدّة لدخول ميدان الصوم. تذكّرهم الكنيسة من خلال الفصول التي تُقرأ في هذه الأيام بضرورة التمييز وحسن اختيار ما يناسب التطوّر

ابناً* فقال الأبُ لعبيدهِ هاتوا الحلَّة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتماً في يدهِ وحذاءً في رجليهِ* وأتوا بالعِجْل المسمَّن واذبحوه فنأكُل ونفرَح* لأنَّ ابني هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد. فطفقوا يفرحون* وكان ابنُه الأكبرُ في الحقل. فلمَّا أتى وقرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغناء والرقص* فدعا أحد الغِلمانِ وسألَهُ ما هذا* فقال لهُ قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّنَ لأنَّه لقيَهُ سالماً* فغضبَ ولم يُرِدْ أن يدخلَ. فخرجَ أبوهُ وطفِقَ يتوسَّلُ إليه* فأجابَ وقالَ لأبيهِ كم لي مِنَ السنين أخْدِمُكَ ولم أتعَدَّ لك وصيةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جدياً لأفرحَ مع أصدقائي* ولمَّا جاءَ ابنُكَ هذا الذي أكلَ معيشتَك مع الزواني ذبحت لهُ العجلَ المسمَّن* فقال لهُ يا ابني أنت معي في كلّ حينٍ وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كانَ ينبغي أن نفرحَ ونُسَرَّ لأنَّ أخاكَ هذا كانَ ميّتاً فعاشَ وكان ضالاً فوُجِد.

## تأمل

بما أنّ الإبن الضال تعلّم بالخبرة كم هو سيئ أن يهجر الإنسان بيته الأبويّ، قفل عائداً فقبله أبوه من دون ضغينة وبحضن مفتوح، لماذا؟ لأنّه كان أباً وليس قاضياً. الآن رقص الروحي الفردي كما الجماعي. تكرّر الكنيسة سنويًّا على مسمع جميع المؤمنين هذه الكلمات في هذه الفترة بالذات حتى إذا ما ابتعد أحدٌ عن الطريق المؤدي إلى الحياة في السنة المنصرمة ترشده إلى الطريق القويم فيبلغ كل أعضاء جسد الكنيسة فرح القيامة.

## التوبة

ما هي التوبة؟ كيف نعرّفها؟ التوبة هي عودة، حنين، إشتياق، صلح، يقظة: هي عودة إلى الله بما أن الخطيئة هي ابتعاد عنه، على ما يقول الرب في سفر ملاخي: «إرجعوا إلي، أرجع إليكم» (٣: ٧). هي حنين الإنسان إلى حالته الأولى، حين كان في حضرة الله. هي إشتياق قلب ابتعد عن الله، ثم شعر أنه لا يستطيع الإستمرار. هي صلح مع الله ما دامت الخطيئة خصومة معه. هي يقظة روحية، لأن الإنسان الخاطئ هو إنسان غافل، لا يعي ما هو فيه، لذلك يخاطبه الكتاب قائلاً «إنها الآن ساعةٌ لنستيقظ من النوم» (رو ١٣: ١١). التوبة هي حياة، عمل إلهي، تحرّر: هي حياة ما دامت الخطيئة تُعتبر موتاً روحياً على ما يقول بولس الرسول (أف ٢: ٥). هي قلب جديد طاهر يمنحه الرب للخطأة، يحبونه به، أي هي عمل إلهي يقوم به الرب في داخل الإنسان. هي تحرّر من عبودية الخطيئة والشيطان، ومن أغلال العادات الخاطئة، ومن السير وراء الشهوات، ولا يمكن أن ننال هذه الحرية بدون عمل الرب فينا. لذلك يقول الإنجيل «إن حرَّركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦). باختصار، التوبة هي ترك الخطيئة من أجل محبة الله والبرّ، لأنّه ليس كل تركٍ للخطيئة هو توبة، فقد يبتعد الإنسان عن الخطيئة بسبب الخوف أو الخجل أو الإنشغال، مع بقاء محبّتها في القلب، وهذا ما لا يعتبر توبة.

تعتبر التوبة من الفضائل الروحية، والإنسان ينمو في الفضائل، وهذا النمو يتطلّب إرادة شخصية. على الإنسان أن يرغب بالتوبة. هناك الكثيرون ممن لا يريدون التوبة، بل يجدون لذّة في الخطيئة تدعوهم للبقاء فيها. بعد إرادة التوبة علينا الابتعاد عن الخطيئة بالقلب والفكر وليس فقط بالممارسة. فهناك مَن يتركها بالعمل، ولكنها تبقى في قلبه. أخيراً نصل إلى القمة: كره الخطيئة من كل قلبنا، والاشمئزاز منها. ومَن يصل إلى هذه الحالة لا يعود بحاجة إلى مقاومتها، فهي لا تعود تتفق وطبيعته، وهنا يكون قد بلغ حافة النقاوة. التوبة إذاً ليست مرحلة وتنتهي، إنها تستمر معنا، لأنه ليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض. كلنا نخطئ ونحتاج للتوبة «إن قلنا إنه ليس لنا خطيئة، نضل أنفسنا وليس الحق فينا» (١ يو ١: ٨).

لماذا يدعونا الله إلى التوبة؟ للسبب ذاته الذي خلقنا من أجله: فيضان محبته. إنه «يريد أن جميع الناس يخلصون» (١ تيمو ٢: ٤)، «هو لا يشاء أن يهلك أناسٌ بل أن يُقبِل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣: ٩)، وهو مستعد أن يتغاضى عن أزمنة جهلنا من أجل خلاصنا (أع ١٧: ٣٠). لذلك أرسل الله يوحنا المعمدان قبل الرب يسوع ليهيء

واحتفال كبير، البيت مليء إشراقاً وفرحاً، لكن، ماذا يحدث؟ هل هذه مكافأة الإثم؟ كلا أيّها الإنسان، ليست مكافأة الإثم بل ثواب العودة، لا مكافأة الخطيئة بل جزاء التوبة، إنّها ليست مكافأة الضلال بل الاستقامة.

لكنّ الإبن الأكبر غضب مِمَا كان يحدث، وحينئذٍ قال له أبوه بوداعة: «يا ابني أنت معي في كلّ حين وكلّ ما هو لي هو لك ولكن كان ينبغي أن نفرح ونسرّ لأنّ أخاك هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥: ٣١-٣٢). عندما ينبغي أن نخلّص إنساناً ضالاً لا مجال لدينا للمحاكم والتحقيقات، بل للرأفة والمغفرة فقط. أيّ طبيب يرفض أن يعطي دواءً للمريض لكي يعاقبه على خطأ جعله يمرض؟ لو وجب أن يعاقَب الضال، فقد عوقب بشكل كافٍ بما قاساه في البلد الغريب. لقد كان منفصلاً عن محبّتنا كل ذلك الوقت ويصارع الجوع والاحتقار والبؤس، لذلك يقول: «كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوُجد». إنه يريد أن يقول، لا تنظر الأمور الحالية، بل فكّر بهول مصيبته السابقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الطريق أمامه وينادي بالتوبة قائلاً «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٣: ٢)، وقدّم للناس معموديّة التوبة، وهكذا سبق عملُ التوبة عملَ الفداء. من هنا ندرك أهمية التوبة، فمن دونها لا يوجد خلاص «إن لم تتوبوا، فجميعكم كذلك تهلكون» (لو ١٣: ٣). صحيح أن «دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة» (١ يو ١: ٧)، ولكنه لا يطهرنا إلا من كل خطيئة نتوب عنها. وقد اشترط الرسول يوحنا لهذا التطهير أمرين: «إن سلكنا في النور» (١ يو ١: ٧) و«إن اعترفنا بخطايانا» (١ يو ١: ٩).

لكن طريق التوبة مليء بالعوائق، فلا يوجد شيء يحاربه الشيطان أكثر من التوبة، ذلك لأنها تضيّع كل تعبه السابق، وهذا ما يجعلها تبدو صعبة. يمكن تعداد بعض هذه العوائق: أولاً العثرات، سواء كانت إغراءات أو فرص غير متاحة من قبل. ثانياً مقارنة الخاطئ نفسه بأشخاص أضعف منه، مما يجعله يبدو في حالة جيدة لا يحتاج فيها للتوبة. ثالثاً ضعف الشخصية، بحيث يمكن أن تنقاد إلى الوسط المحيط بها. رابعاً اليأس والشعور بصعوبة الطريق. خامساً الكبرياء. فالتوبة سهلة على المتواضعين، وصعبة على الأبرار بأعين أنفسهم. أخيراً تأجيل التوبة، وهذا من أقوى الأسلحة التي يملكها الشيطان، إذ يقنعك بتأجيل عمل اليوم للغد، وعمل الغد لما بعده، وهكذا دواليك. ولكن ماذا لو داهمك الموت اليوم؟

أخيراً من المفيد تقديم بعض الوسائل المساعدة على التوبة. فصحيح أن لكل إنسان الأسلوب الذي يراه مناسباً له ولظروفه، لكن تبقى هناك قواعد عامة تناسب الجميع: اجلس مع نفسك، حاسبها، واخرج بالقرار. لا تلتمس لنفسك الأعذار. لا تؤجل التوبة، بل ابدأ من الآن. اهتم بنفسك ولا تتلهَّ بخطايا الآخرين. ابتعد عن قساوة القلب. أعد تقييم سلوكك. ثابر على الاعتراف والمناولة. ابدأ بنبذ الخطايا التي تحبها. اتكل على الله وثق بقيادته.

بارك الله كل ساعٍ للتوبة وأزال كل عائقٍ في وجهه، وهدى كل ضالٍ اعتبر نفسه بلا خطيئة.

## رحلة

ينظّم مكتب التربية المسيحيّة في مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس، رحلة إلى المناطق الدينيّة والأثريّة والسياحيّة في كبادوكية ومرسين وطرسوس (تركيا) من الخميس ٢٨ آذار إلى الثلاثاء ٢ نيسان ٢٠١٣. تشمل الزيارة بيت القديس بولس الرسول والكهوف والأودية وآثار الأديرة والكنائس التي حفرها المسيحيّون في الصخور وفي المدن الجوفيّة هرباً من الإضطهادات.

للإستعلام والحجز الرجاء الاتّصال على أرقام مكتب التربية المسيحية: ٠١/٣٢٨٢٩٠ – ٠١/٢٠٣٩٢٣

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**